رسالة مختصرة بعنوان :

القول المبين في أن الانتخابات والدخول في البرلمانات شرك أكبر برب العالمين

الرسالة هي مختصر من رسالة للشيخ أبو محمد المقدسي حفظه الله بعنوان :

(الجواب المفيد بأن المشاركة في البرلمان وانتخاباته مناقضة للتوحيد)

(بتصرف)

الراجي عفو ربه

د. عبد الله القرشي الشامي

1437هـ

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن والاه .. وبعد :

ما حكم البرلمانات ؟ وحكم الذين دخلوا فيها ؟ والإنتخابات البرلمانية ؟ وهل هناك تفصيل ؟

هناك قاعدة فقهية معروفة وهي : (أن الحكم على الشيء فرع من تصوره).. إذاً لا بد أولاً من معرفة :

ماهي حقيقة هذه الانتخابات ؟!

وماهيّ حقيقة البرلمانات؟

ثم بعد ذلك سنعرف حكم المشاركة فيها ..فإذا تبين حكم الله فيها .. لم يجز لأحد بعد ذلك أن يتجاوزه أو يتعداه أو يحيد عنه إلى آراء و استحسانات وأهواء البشر مهما زخرفوها وحسنوها .

قال تعالى : (ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالً مبيناً) [الأحزاب] .

أولاً: البرلمان :

هو المجلس التشريعي للأمة أو الشعب – كما يزعمون –، يشارك فيه بعض النواب عن بعض الشعب , وظيفته الأساسية هي التشريع من خلال الدستور ، ووفقاً لقوانينه الوضعية ، ومن منطلقاته وأصوله الكفرية الجاهلية ..(راجع بنود أي دستور عربي أو اوربي لزيادة الاطلاع)

ومهما فلسف بعض المنتسبين إلى الدعوة ذلك وأولوه وسمّوه بغير اسمه ، فلن يخرجوه بذلك عن حقيقته .. لأن العبرة بالحقائق والمباني لا بالمصطلحات والأسامي وأول من تلاعب بالأسماء ليُموّه الحقائق إبليس ، لما سمى شجرة الحرمان بشجرة الخلد ، فكل من لبّس الحق بالباطل بالتلاعب بالأسماء فقدوتهُ في ذلك إبليس اللعين ، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن ناساً من أمته سيشربون الخمر يسمونها بغير اسمها ..فهل غير ذلك من حقيقتها ، ومن حكمها الشرعي شيئاً؟؟..

إذا تقرر هذا فهاك حكم الله تعالى فيما تقدم .. بالأدلة الشرعية المعتبرة ، من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فنحن لا نحتكم عند النزاع إلا إلى الله والرسول .. قال تعالى: (فإن تنازعتم في شيءٍ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) [النساء] .

ثانياً : توصيف المسألة

قلنا أن الوظيفة الرئيسية للبرلمانات حسب دساتيرهم هي التشريع المطلق دون أي تقيد أو شرط ..وهذا هو الكفر البواح والشرك الصراح الذي بعث الله تعالى كافة رسله لإنكاره وهدمه والتحذير منه ، ولإخراج الناس من ظلماته وأرجاسه ، إلى نور التوحيد وشريعته المطهرة فقال تعالى: (ولقد أوحى إليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) الزمر

وهو أعظم مفسدة في الوجود وأعظم ذنب عصي الله به على الإطلاق ولذلك قال تعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً) [النساء].

وقال تعالى : (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالً بعيداً) [النساء] .

وقال تعالى : (إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) [المائدة].

والذي ينبغي أن يعرفه المسلم أن أكثر المشركين على مرّ العصور ، لم يكونوا مشركين مع الله في ربوبيته ، بمعنى أنهم لم يكونوا يدّعون أن هناك خالقاً ورازقاً ومدبراً لهذا الكون غيره سبحانه .. وإنما كان شركهم الذي قتّلوا الرسل وآذوهم وعادوهم من أجله ، أن جعلوا لله أنداداً وشركاء ساووهم به سبحانه لا في الخلق والرزق والتدبير .. بل في العبادة والطاعة والتشريع .. والتحليل والتحريم .

ولذلك قال تعالى منكراً على أمثالهم : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) ، ومعلوم أنهم ما ادعوا أنّ الأحبار والرهبان خلقوهم أو أنهم يرزقونهم .. بل كان اتخاذهم إياهم أرباباً، بعبادتهم ، كما قال تعالى بعد ذلك في الآية نفسها : (وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) [التوبة]، ومعلوم أنهم لم يكونوا يعبدون الرهبان والأحبار ، بمعنى أنهم يصلّون لهم أو يصومون ، ولو طلبوا منهم ذلك بهذه الصراحة لما فعلوه ، بل كانت عبادتهم بطاعتهم في التشريع والتحليل والتحريم . وهذا هو شركهم الذي ذكره الله في الآية ..

وحديث عدي بن حاتم الطائي المشهور : أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو هذه الآية: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) .. فقال عدي : ما عبدوهم يا رسول الله .. [ظناً منه أن العبادة مجرد الصلاة والسجود والصيام ونحو ذلك] .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم :(ألم يكونوا يحلون لهم الحرام ويحرمون عليهم الحلال) قال : نعم . قال : فتلك هي عبادتهم .....)، وقد صح نحو هذا التفسير للآية عن حذيفة رضي الله عنه وغيره .فهذا دليل صريح على كفر من أناط بنفسه أو بغيره سلطة التشريع المطلقة .. وكل من قبل بهذا الدين المحدث ، وتواطأ مع المشرعين واجتمع معهم عليه فحكمه حكمهم .

دليل أخر :

قال تعالى : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون). فتأمل كيف حكم الله تعالى على الطاعة في التشريع أنها أعظم مفسدة في الوجود ، فوصفها بأنها شرك ، ونعت أهلها بأنهم مشركون وإن لم يكونوا يعبدون الأصنام أو يصلون لها .

فقد روى الحاكم وغيره بإسناد صحيح عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في أناس من المسلمين كان المشركون يجادلونهم ، في قضية واحدة من قضايا التشريع ، فيقولون : الشاة تصبح ميته ، من قتلها ؟

فقال المسلمون : قتلها الله ..

فقال المشركون : ما قتل اللهُ ، أو ما ذبح اللهُ بسكين من ذهب حرام ، وما ذبحتم بسكين من حديد حلال؟؟

فأنزل الله تعالى الآيات إلى قوله تعالى : (وان أطعتموهم إنكم لمشركون).

فهذا حكم رباني لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وليس هو باجتهاد عالم يحتمل الخطأ والصواب ... بل نصّ سماوي صريح مُحكم ، بأنّ من تابع وأطاع غير الله تعالى في التشريع ولو في مسألة واحدة ، أنه مشرك بالله تعالى قد اتخذ ذلك المطاع رباً ، وإن لم يسجد له أو يصلي أو يصوم ، فكيف بمن أطاع ، أو أناط بنفسه أو بغيره سلطة التشريع المطلقة كلها ..؟؟

والنصوص الشرعية في هذا الباب كثيرة وقاطعة ، لا تُبقي للمخالف المجادل مجالاً للّفّ والدوران ، ولولا مخافة التطويل الذي لا يناسب هذه الورقات ، لسقنا لك من ذلك الكثير .. ولكن وفيما أوردناه هنا حجة وكفاية ، لمن أراد الهداية ..

ثالثاً : مسألة التشريع في البرلمانات كما ذكرنا مستمدة من نصوص الدستور وليس لآيات الله ولا لسنة رسول الله أي إعتبار في تطبيق أي مادة مقترحة من قبل أعضاء البرلمان (النواب).

ولذلك فلو تم اقتراح قانون تحريم الخمر مثلاً و استدل من إقترحه بعشرات الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .. لما رفعوا بذلك رأساً ، ولما كان هذا المشروع دستورياً ولا قانونياً إلا إذا كان ما يقوله موافقاً لنصوص الدستور .

فنصوص دساتيرهم هي الحاكمة وليست نصوص القرآن ، بل نصوص القرآن محكومة عندهم دائماً بالدستور ..! فتأمل .!

فأي كفر وشرك بواح فوق هذا..؟؟؟

أو ليس في هذا تقديم لأهواء وقوانين وشرائع البشر الوضعية على شرع جبار السماوات والأراضين ...؟؟

أو ليس في هذا تقديم لأمر المشرعين السفلة الكفرة ، على أمر المشرّع الواحد الأحد الذي شرع لنا من الدين ما وصى به نوحاً والنبيين من بعده ..؟؟

وأي محادة لله ومعاندة لشرع الله فوق هذا ؟؟

وأي استخفاف واتخاذ لآيات الله هزواً فوق هذا ؟؟

ثم ومع هذا الكفر البواح .. والشرك الصراح ، يدّعي بعض أهل التجهم والإرجاء .. أن القوم لم يفضلوا شرع الطاغوت على شرع الله الواحد القهار ، ولا يستحيي بعض رهبانهم من أن يقايسوا هؤلاء المشركين المشرعين ودينهم الكفري هذا ، على القاضي الموحد ، الحاكم بشرع الله في ظل دولة الإسلام إذا ما عصى فجار في القضية لهوى أو رشوة فيزعمون أن هؤلاء المشرّعين .. المساكين !! كهذا القاضي مثلاً بمثل ، لا يَكفُرُون إلا إذا قدموا أحكامهم على شرع الله وادعوا أنها أفضل وأولى بالحكم ..!! أو إذا جحدوا حكم الله وشرعه جحوداً قلبياً ...!!!

نتساءل فنقول : إن لم يكن ما تقدم من تعطيل نصوص الشرع ، وعدم تفعيل آيات الكتاب وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم إلا من خلال نصوص الدستور الوضعي .. ثم بعد ذلك طرحها بين يدي أراذل الخلق لمناقشتها .. قبولاً أو تغييراً أو تبديلاً أو تحريفاً أو تشويهاً( ) أو رداً ، إن لم يكن في هذا كله تقديماً لقوانينهم وأهوائهم على نصوص الشرع ، وإن لم يكن في ذلك تحكم ظاهر، وهيمنة مكشوفة لقوانينهم وأهوائهم على الآيات والأحاديث .. فيكيف يكون التفضيل والتقديم إذن ..؟؟ ومتى يكون ..؟؟

إن الله تعالى قد أنكر على المشركين الأوائل ، أنهم ساووا أندادهم وشركائهم ومعبوداتهم برب العالمين ، فأخبر عن المشركين أنهم يقولون ساعة الندم :(تالله إن كنّا لفي ضلال مبين إذ نسوّيكم برب العالمين).. وقال سبحانه : (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله .. الآية) وقال تعالى : (فلا تضربوا لله الأمثال ..) [النحل].

هذا فيمن ماثل أربابه وشركاءه أو شابههم وساواهم بالله الواحد القهار ..! فكيف بمن جعل من نفسه أو من أربابه المتفرقين وشركائه المشرعين ، آلهة متحكمين و متصرفين بشرع الله ، مهيمنين على أوامره وحدوده ودينه وآياته ؟؟؟

إذا تقرر ما تقدم ، وعرفت حقيقة هذه البرلمانات الكفرية، وحقيقة وظيفتها ، وكيفية ممارسة أربابه لها وعلمت حكم الله في هذه الوظيفة ، بأنها شرك صراح وكفر بواح مناقض للتوحيد .. لأنها مبنية على الاحتكام إلى الطاغوت الذي أمرنا الله أول ما أمرنا أن نكفر به ونجتنبه، ولأن التشريع عبادة يجب توحيد الله بها ومن أناطها بغير حكم الله تعالى أو صرفها لغيره سبحانه فقد اتخذ ذلك الغير رباً أشركه مع الله تعالى في التشريع

إذا عرفت هذا كله ،سهل عليك بعد هذا كله معرفة حكم المشاركة فيها ترشيحاً و انتخاباً ..

فالبرلمان إذاً هي طاغوت لأنها أماكن للتشريع وسن القوانين والحكم بغير ما أنزل الله ، فإن أصل البرلمانات والديمقراطية هي حكم الشعب للشعب وأن الشعب هو الذي يشرع عن طريق نوابه الذين يسمون بالبرلمانيين , وهذا ضد إفراد الله بالحكم والتشريع والأمر والنهي , قال تعالى { إن الحكم إلا لله } وليس للشعب , وقال تعالى { أفحكم الجاهلية يبغون } ، وقال تعالى { ولا يشرك في حكمه أحدا } ، لا لبرلمان ولا لشعب ولا لأحد .

وحقيقة المترشح فيها أيضاً أنه طاغوت يسعى إلى أن يشارك الله تعالى بالتشريع ..فهذه هي الوظيفة الأولى والرئيسية، التي يسعى للفوز بها في الانتخابات: (التشريع المطلق) من خلال نصوص الدستور، فهو بمعنى آخر يطلب من الناس أن يُنيطوا به سلطة التشريع وأن يصرفوا له هذه العبادة .. فيختاروه كي يشرّع لهم وفقاً لنصوص الدستور .

وهذا ما يفعله كل طاغوت مع قومه .. وهو عين ما كان يفعله الكهان والأحبار والرهبان وهل طمع فرعون يوم أن قال : (أنا ربكم الأعلى) بأكثر من هذا ؟؟.. إنه لم يدّع أنه الخالق ، فهناك من وُلِدَ قبله، وكان موجوداً مخلوقاً قبل أن يولد فرعون, وهذه حقيقة لا يماري فيها فرعون ولا غيره , وإنما الذي أراده هو الطاعة والتسليم المطلق، وأن يناط به الحكم والتشريع على إطلاقه ، فيأمر وينهى ويحرّم ويحلل وفقاً لأهوائه وشرائعه الباطلة ,ولذلك عرّف العلماء الطاغوت بقولهم:(هو كل ما تجاوز به العبد حدّه من معبود أو متبوع أو مطاع فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم).

ومعلوم حكم الطاغوت في دين الله ، فهو في الكفر كفرعون .. وعمرو بن لحي الخزاعي،وكعب بن الأشرف، وأحبار اليهود والنصارى ورهبانهم، والكهان الذين كان يتحاكم إليهم الناس في الجاهلية، ونحوهم من المشرّعين .

ومن تواطأ معهم من الناس فاختارهم لأجل هذا التشريع فحكمه حكم من تواطأ مع الأحبار والرهبان على تشريعهم ، الذين قد قال الله تعالى فيهم : (اتخذوا أحبارهم ورهبارنهم أرباباً من دون الله ......) إلى قوله:(وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) .

وقد تقدم تفسير النبي صلى الله عليه وسلم لعبادتهم الأحبار والرهبان ، بأنها طاعتهم في التشريع . ومنه تعلم أن الأمر جد خطير ..

فكم من الناس قد هلك وتساقط في هذا الشرك الصراح...! مصداقاً لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم : وإن مما أتخوّف على أمتي أئمة مضلين، وستعبد قبائل من امتي الأوثان ، وستلحق قبائل من أمتي بالمشركين) فمن انتخب وتابع إماماً من هؤلاء الأئمة المضلين المشرعين مُنيطاً به التشريع .

فإنما يختار في الحقيقة رباً ليشرع له وفق أحكام الدستور ، قد أشركه مع الله تعالى في العبادة، وقد قال سبحانه منكراً على المشركين: (ءأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) وقال عز وجل :(أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله)؟؟؟

فهذه هي حقيقة العبادة التي صرفها أكثر الناس لغير الله في هذا الزمان .. وهذا هو شرك العصر الذي عمّ وطم ، ولم ينجُ منه إلا من عصم الله .

إنه الدين الكفري المحدث الذي يسميه بعض دعاة العصر : حاكمية الجماهير أو تشريع الشعوب .. وحق له أن يسميه كذلك , فقد نص هؤلاء المشركين من عبيد القانون في دساتيرهم أن (الامة هي مصدر السلطات جميعاً) ومن ذلك السلطة التشريعية فقد ابتغوا واختاروا الديمقراطية (حكم الشعب) ديناً ومنهجاً لحياتهم .. ولمّا صعب عليهم تطبيق ذلك مباشرة عن طريق ممارسة ما يعرف بالديمقراطية المباشرة، تواطؤوا واصطلحوا على الديمقراطية غير المباشرة، كبديل عن ممارسة الشعب للتشريع مباشرة لاتساع رقعته وعدده .. فاعتاضوا عن ذلك بالديمقراطية النيابية (غير المباشرة) بأن يختار الشعب من بنيبهم عنه في التشريع .

فما مجلس الأمة أو مجلس النواب أو مجلس الشعب إلا النواب عن الأمة والشعب وممثلوه الذين يختارهم الشعب، لينوبوا عنه في ممارسة السلطة التشريعية .. وهذه هي حقيقة هذه الانتخابات التي فتنت الحكومات بها الناس .. فتدافعوا إليها ، أفواجاً ، أفواجاً .

فمن فعل ذلك ودخل في دين هذه الحكومات المحدث، وتواطأ واجتمع معهم واصطلح( ) على أن يكون التشريع للأمة لا لله ...!! أو حتى للأمة مع الله ..!!فقد ولغ في شرك العصر .. وابتغى غير الإسلام ديناً.

هذا من حيث التوصيف الشرعي لهذا العمل .. أو الحكم العام على هذا الفعل .. لكن عند التعيين أو تنزيل الحكم على الأعيان فها هنا سؤال يتكرر كثيراً وهو:

هل يكفر من شارك في هذه الانتخابات ترشيحاً وانتخاباً . ولا يعذر بجهل أو غير ذلك من موانع التكفير .. أم أن هناك تفصيلاً ؟

فنقول :

• أما المترشّح ، المباشر للنيابة عن الشعب في التشريع .. فقد تقدم أنه الطاغوت والرب الذي اختاره من اختاره من الناس، ليصرفوا له عبادة التشريع .. ليشرع لهم من الدين ما لم يأذن به الله .

فهو مشرك كافر ، حتى لو لم يفز بالانتخابات ، ولو لم يباشر التشريع فعلاً .. ما دام قد ارتضى بهذه الوظيفة الكفرية، وسعى إليها ودان بهذا الدين الشركي الذي ينيط التشريع بغير الله ... ودعا إليه، وحشد الناس والطاقات جاهداً ليحرز مقعداً في مجلسه, فهو حين لم يحرزه .. وخاب في انتخاباته ، لم يتركه كفراً

بهذا الدين ولا براءة من الدستور ولا اجتناباً للطاغوت أو تحقيقاً للتوحيد ... بل أضلّ من تابعوه وناصروه وأعانوه، وحرضهم على الشرك، ودعاهم إلى اختياره رباً ومشرعاً وكان حريصاً على ذلك .. فخاب وخسر في الدنيا والآخرة، إلا أن يبادر بالتوبة وتجريد التوحيد، بالبراءة من الشرك والتنديد، ولا يخرجه من الكفر إلا ذلك .. أما طول اللحية وقصر الثياب ، فما هذه من موانع التكفير في شيء ، فهي وكل عمل من الأعمال، سيكون يوم القيامة هباءً منثوراً إن لم يتب صاحبه من هذا الشرك، فقد قال تعالى : (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) [الأنعام] .

فإن مفسدة الشرك تفسد وتتلف كل عمل ، ولذا كانت أعظم مفسدة في الوجود .

ولأجل ذلك فلا يوجد مانعاً من موانع التكفير المعتبرة يمنع من تكفير هؤلاء الطواغيت المباشرين للتشريع .

- إذ قد أقام الله تعالى حججه البالغة على الخلق في أصل التوحيد وفي والإنذار من الشرك والتنديد ، ما لم يبق معه حجة لمشرك .

- فنشر في هذا الكون الأدلة الظاهرة على ربوبيته و وحدانيته ، فالذي فطر الكون وخلقه ، هو وحده سبحانه الذي يستحق العبادة ، من سجود أو صلاة أو تشريع أو غيره .(ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) [الأعراف] . ولا يجوز ولا يصح أن يشاركه أحد في التشريع ، إلا أن يكون قد شاركه بالخلق ..!! فإذا كان هذا محالاً ،لم يجز ذاك بحال .

- ثم فطر الناس على توحيده كما في حديث : (ما من مولود إلا يولد على الفطرة – وفي رواية (على هذه الملّة) فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ..) وفي رواية لمسلم وغيره (أو يشرّكانه) وخلقهم حنفاء – أي مائلين عن الشرك تأباه فطرهم، كما في الحديث القدسي :(إني خلقت عبادي حنفاء كلهم)

- وأخذ عليهم قبل ذلك الميثاق لمّا استخرجهم من صلب أبيهم آدم فقال تعالى : (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين (172) أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون (173) وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون (174)) [الأعراف] .

• ثم لم يكتف الله تعالى بهذا .. بل بعث سبحانه الرسل مبشرين ومنذرين ، مذكرين بذلك الميثاق، داعين إلى التوحيد ، محذّرين من الشرك: :(لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) جميعهم بعثوا بهذا الأصل الأصيل فما عاد يخفى إلا على معرض ..

• وأنزل كتبه على عباده لأجل ذلك ، وجعل آخرها القرآن ، وعصمه سبحانه من التحريف ، وجعله حجة على العباد ، فمن بلغه فقد وصلته النذارة ، وقامت عليه الحجة .. قال تعالى : (وأوحى إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ) هذا على وجه العموم .. فكيف بأهم وأخص خصوصيات الدين وأعظم أصوله .. أعني التوحيد والبراءة من الشرك والتنديد .. فالقرآن كما يقول العلماء من أوله إلى آخره ، إما دعوة إلى التوحيد ، أو تحذير مما يناقضه من الشرك .. وإما بشارة للموحدين أو نذارة ووعيد للمشركين .

فأعرض أكثر الناس عن هذا الكتاب العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذي فيه فلاحهم ونجاتهم .

أعرضوا عنه ، وتساقطوا في أخطر ما حذرهم منه، حين تهافتوا في الشرك ، أعظم مفسدة في الوجود ، فتكالبوا على نخالات ونحاتات وأهواء الكفرة الملحدين .. واستبدلوا زبالات أفهام المشرعين المشركين، بأطهر وأعظم وأكمل وأعدل تشريع في الوجود ..!! فأي بغي وأيّ جحود ، وأي ظلم للناس وللأنفس أشد من هذا ....؟؟ ولذلك قرر العلماء المحققين بأنه لا يعذر الجاهل في هدم أصل التوحيد ، ومقارفة الشرك الأكبر باتخاذ آلهة وأرباب مع رب العالمين .

فكيف بمن ادعى لنفسه شيئاً من صفات الألوهيه ، فنصب نفسه مشرعاً يشرع للناس من الدين ما لم يأذن به الله ؟؟

فأي جهل يجوز أن يذكر هنا مع وضوح الحجج وبلوغ النذارة ، إلا جهل الإعراض الذي نعت الله به المشركين ؟؟؟

قال تعالى : (قل أفغير الله تأمرونّي أعبد أيها الجاهلون (64) ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين (65)) [الزمر].

وكذلك القول في التأويل .. فأي تأويل يسوغ ، في ادعاء الألوهيه أو بعض صفاتها ..؟ أو مع اتخاذ غير الله رباً و مشرعاً ..؟ أو ابتغاء غير شرعه ديناً ومنهجاً ..؟ فقد نص العلماء على عدم قبول دعوى التأويل

في الكفر الصريح( ) وهل خلا شرك المشركين على مر العصور ، من تأويل فاسد ؟؟ بل هل خلت جعبة فرعون من تأويل كتأويلات القوم الفاسدة ..؟ فإن عذر هؤلاء الخوالف بالتأويل ..!! فعلام لم يعذر الأولون ؟؟ (أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر) [القمر].

والخلاصة هنا .. أننا لا نرى مانعاً من تكفير من ادعى الألوهيه أو بعض صفاتها ..أو أظهر الشرك الأكبر , إلا أن يصدر عنه شيئا من ذلك على سبيل انتفاء القصد (الخطأ) أو الإكراه ..

• أما انتفاء القصد: فهو أن يريد بقوله أو فعله حقاً أو معروفاً أو خيراً أو مباحاً ، فيخطئه من غير قصد منه أو تعمّد ، كما في حديث الرجل الذي أضل راحلته وعليها متاعه وسقائه ، فأيس من النجاة وأيقن الموت ..فلما ردها الله عليه ..قال (اللهم أنت عبدي وأنا ربك !!) أخطأ من شدّة الفرح .

وشتان بين هذا الذي أراد أن يحمد الله ويشكره ويثني عليه فأخطأ لسانه ، فخرج منه ما لا يريده أو يقصده من شدّة الفرح، وبين ما يمارسه ويفعله المشركون ويتعمدونه ويجتهدون فيه ويتنافسون، عن قصد و إرادة جازمة ، من التشريع والشرك البواح الصراح، وابتغاء غير دين الله وشرعه... !!

فالمخطئ المعذور .. هو الذي ينزع عن خطئه فور تنبهه ويستغفر ويقلع .. أما هؤلاء المشركون فهم عامدون قاصدون للتشريع ، وفق نصوص الدستور ، مصرون على ذلك الشرك الصراح المتقدم، مقيمون على انحرافهم ليل نهار .. يفتخرون به ولا يندمون أو يخطئون أنفسهم أبداّ ..فهم في غيهم سادرون .

كذلك الإكراه ..فإن ذكره هنا من الأمور المضحكة .. فهو يقيناً منتفى في حق هؤلاء المباشرين للتشريع .. فمن ذا الذي يكرههم على النيابة عن الناس في هذا العمل الكفري .. بل الواقع المشاهد الذي يعرفه الصغير والكبير والجاهل والعالم، أنهم يتنافسون ويتكالبون على هذا المنصب الشركي ، ويستميتون في سبيل إحرازه وتحصيله ، فيحشدون طاقاتهم وأموالهم، ويبذلون جهودهم ، ويستنفرون أنصارهم وأحزابهم وشياطين إنسهم وجانهم ، فيطعمون الطعام ، ويذبحون الخرفان .. وينحرون التوحيد ، ويكرمون التنديد ..كل ذلك كي يفوزوا بمقعد من تلك المقاعد التشريعية الشركية ...فأي إكراه هذا ...؟؟!

أما المنتخِب (بكسر الخاء) : فقد علمت أن حقيقة ما يقوم به حين يدين بهذا الدين الشركي ، أنه يختار مشرّعاً (رَبّاً) من أولئك الأرباب المتفرقين !! لينيط به التشريع ، وينيبه عنه في هذه الوظيفة الشركية .

• فإما أن يستشرف لهذه الوظيفة ويدين بها .. ويراها حقاً له قد كفله الدستور ، حين أناط السلطة التشريعية بالأمة ممثلة بنوابها ..فهذا لا فرق بينه وبين النائب المشرّع، إلا أن النائب مباشر للتشريع الكفري ، وهذا قد وكّله وأنابه عنه فيه ..وحكم الردء والموكِّل حكم المباشر ..فحقيقته أنه مشرع مشارك بالتشريع بطريق الوكالة ...

• أو أنه لا يتبنى المسألة هكذا .. فلا يتطلع للتشريع ، ولا يرى نفسه كفؤاً لذلك ..فيمنحه لمن يثق بهم من الدكاترة والعلماء وأهل الفهوم –عنده– والذين يظنهم كفؤاً لذلك .. و يرى نفسه متابعاً لهم لا مشاركاً في التشريع .. فهو يتخذهم ويختارهم أرباباً مشرعين ينيط بهم التشريع المطلق ويتواطأ معهم عليه ، ويدين به ..فهذا مشرك في العبادة .. كما تقدم أن حكم صاحبه كحكم من أطاعوا وتابعوا المشركين في التسوية بين الميتة والمذكاة ...قال تعالى : (وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ...) وهذا كما تقدم ، في مسألة تشريعية واحدة ... فكيف بمن أناط بهم سلطة التشريع مطلقاً ...؟ أو أنابهم في التشريع كله ..وسلّم لهم تسليماً ؟؟. وهو كالذي أطاعوا الأحبار و الرهبان في التشريع ، الذين تقدم قول الله تعالى فيهم : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ..) إلى قوله .. (سبحانه وتعالى عما يشركون) .. فقد حكم الله تعالى عليهم بالشرك .. ولا ينفع مع الشرك الأكبر تأويل ، فأي تأويل يُسوّغ اتخاذ غير الله رباً ..؟ كما لا يعذر فاعل ذلك بالجهل .. فقد تقدم أن الله قد أقام حججه البالغة على العباد في هذا الباب ففطرهم على الحنيفية وهي الميل والبعد عن الشرك ، وبعث لهم الرسل جميعاً يذكرونهم بذلك ، ويدعونهم إلى التوحيد ، ويحذرونهم من الشرك والتنديد ،فأبى أكثر الناس إلا التساقط فيه ...

وفي الحديث الذي يرويه مسلم في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم :(أخبر عن الله تعالى أنه قال : " إني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين ، فاجتالتهم عن دينهم وحرّمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً.. " الحديث وهذا حال أكثر الناس اليوم .. فطرهم الله تعالى حنفاء .. وهداهم إلى التوحيد ، فبعث رسله جميعهم يدعونهم إليه ، وأنزل كتبه كلها تأمرهم به وتحذرهم مما يناقضه من الشرك والتنديد .. فجاءتهم شياطين الجن والإنس من الرهبان والكهان والنواب والطواغيت فزينوا لهم الشرك وزخرفوه وسموه بأسماء عصرية من ديمقراطية أو حرية أو قوانين عصرية!! فشرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ، وأمروهم أن يشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً.. فتابعوهم على ذلك وأطاعوهم .. فضلوا عن سواء السبيل .. وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم في حديث

عدي بن حاتم المتقدم، أن جهل هؤلاء المتابعين المتواطئين مع الأحبار والرهبان أو (النواب) ؛ بأن الطاعة في التشريع عبادة، ليس بعذر لهم .

وهو ظاهر من قول عدي :(ما عبدوهم ...!!!) وذلك لما سمع آيات سورة التوبة من النبي صلى الله عليه وسلم فبين النبي صلى الله عليه وسلم له أن مجرد طاعتهم للمشرعين في التشريع عبادة وشرك ... وهي حقيقة ربوبيتهم لهم وإن لم يصلوا لهم ويسجدوا ..

ولذلك فنحن نقول أن من تواطأ واصطلح أو اتفق واجتمع مع هؤلاء النواب أو هذه الحكومات على هذا الدين المحدث الكفري الذي ينيط التشريع بغير الله تعالى ويجعله وفقا للدساتير و القوانين الوضعية .. فقد اتخذهم أرباباً من دون الله وقد ابتغى غير الإسلام ديناً.

وهذه هي حقيقة ما يمارسونه في الانتخابات، فإنهم يدينون فيها بدين الديمقراطية الذي جعل التشريع والحكم للشعب لا لله ... فيقومون باختيار الرب الذي سيوكلونه أو سينيطون به سلطة التشريع المطلقة ، وفقاً لنصوص الدستور .

فمن فعل ذلك فقد برئ من الملة والتوحيد .. وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم .. وكل امرئ حجيج نفسه.

ومن تأمل أحوال الناس اليوم .. وكيف تكالبوا على هذا الشرك البواح وحداناً وزرافات .. عرف سبب انتكاس الأمة وضياع أمجادها وتسلط أعدائها عليها .. فإن ذنب الشرك هو أعظم ذنب عصي الله به، كما في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل :(أي الذنب أعظم)؟ فقال : (أن تجعل لله نداً وقد خلقك) ..

ومنه يعلم الموحد فضل الله تعالى عليه أن هداه إلى التوحيد وأنعم عليه بأن أنقذه من الشرك والتنديد .

فحذار من التفريط في هذا التوحيد العظيم .. فإنه رأس المال ، والتفريط به ، هو الخسران المبين .. فليس العجب ممن هلك كيف هلك .. ولكن العجب ممن نجا كيف نجا ..!!

وليبادر بعد ذلك بإنذار كل من يعرفهم وتحذيرهم من الشرك، لينقذهم من الخسران المبين الذي حاق بهم بمتابعتهم لهذه الحكومات على دينها الكفري، شعروا أو من حيث لا يشعرون .

• لكن ينبغي التنبيه هنا إلى أننا مع ما تقدم من كلامنا في التحذير من الشرك العظيم الذي عم وطمّ .. وبيان كفر من تواطأ واصطلح مع هذه الحكومات عليه ..فإننا لا نكفر معدوم الإرادة أو المكره على المشاركة في هذه الانتخابات إن وجد ...

• وكذلك لا نكفر من غُرّر به، فشارك فيها ظناً منه أنها مجالس وظيفتها تقديم الخدمات للناس، كما هو في ظن كثير من العوام الذين يختارون أقاربهم أو معارفهم لأجل ذلك ..

ونحن هنا لم نعذر بالجهل في باب الشرك الأكبر .. وإنما بالجهل بحقيقة هذا المجلس .. ومن ثم فهذه المسألة عندنا من باب (الخطأ) أو انتفاء القصد .. كما في قوله تعالى : (ربنا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) . قال الله تعالى كما في الحديث القدسي :(نعم) أو (قد فعلت) . والصورة أن العامي أو الجاهل إن علم حقيقة هذه المجالس على ما تقدم وأنها مجالس تشريعية ، وتواطأ مع أهلها على دينها الكفري فأقرهم على أن لهم الحق في التشريع المطلق ، أو اختارهم كمشرعين وفقاً لنصوص الدستور ، فهو مشرك عندنا ، وإن لم يعلم أن الطاعة في التشريع كفر، فنحن لا نعذره بالجهل في هذا الباب .. كما أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعذر المذكورين في آية التوبة ، كما في حديث عدي لما خفي عليهم أن الطاعة في التشريع عبادة .. لكن كثيراً من العامة ، سواء أكانوا شيوخاً أم عجائز أم غيرهم، لا يعرفون حقيقة هذه المجالس التشريعية الكفرية .. ولا يختارون أو يشاركون في الانتخاب فيها على سبيل اختيار الأرباب المشرعين .. وإنما يفعلون ذلك على سبيل اختيار من ينوب عنهم في حل مشاكلهم وخدمتهم أو خدمة مناطقهم .

هذا هو قصد ومراد كثير منهم ، وهكذا يتصورون اللعبة ويمارسونها .. فمن كان عنده أصل التوحيد منهم وكان كافراً بالطاغوت وشرعه .. وشارك في الانتخاب على هذا الظن والقصد ، قلنا: أن ظاهر عمله الكفر ، لأننا لا نعرف ما يقصد إلا أن يصرح، كما أن من قال :(اللهم أنت عبدي وأنا ربك) ظاهر قوله عندنا الكفر .. مادمنا لا نعرف أنه مخطئ لا يقصد ذلك .. ونقول : بأنهم قد ارتكبوا عملاً من الأعمال المكفرة بمشاركتهم في الظاهر باللعبة الديمقراطية التي تجعل الحاكمية للجماهير لا لله .. ولكن لأن أحوال الناس فيها الالتباس المذكور .. فنحن لا نبادر إلى تنزيل الكفر على أعيان هؤلاء العوام، حتى نعلم أن الواحد منهم قصد اختيار المشرعين وأنه يعلم حقيقة ما يختاره .. وإلا لم يكفرّ حتى يبيّن له حقيقة هذه المجالس التشريعية، فإن أصر بعد ذلك لم نتحرج من الحكم على عينه بالكفر .. وكذلك من قال :(اللهم

أنت عبدي وأنا ربك) ، نقول له : قد قلت كلمة الكفر .. فإن راجع واستغفر وقال : قد أخطأت وإنما كان قصدي الثناء على الله وحمده .. ولم أقصد ما سبق إليه لساني .. لم نكفرّه ..

وإن أصر ولم يقلع ويستغفر ، كفرّناه .. وكان قوله كقول فرعون (أنا ربكم الأعلى) .

بخلاف من قصد إناطة السلطة التشريعية بنفسه أو بغيره .. وتعمد ذلك وسعى إليه سعياً .. فإنه يكفر فوراً لأنه عامد إلى عمل الكفر ، قاصد إلى اختياره غير مخطئ .. وانتفاء القصد ، قد ينطبق أيضاً على كثير من الجهال والعوام الذين يغرر بهم بعض النواب المشرعين الملتحين !! حين يلبسون الحق بالباطل ، فينادون بتحكيم شرع الله ، وأن هذه غايتهم من دخول البرلمان .. ويكتبون في إعلاناتهم الإنتخابية عبارات تلبيسية ، وشعارات براقة خداعة ..(كالإسلام هو الحل) ونحوها ، مما يغررون به العوام ..

فمن أُتي به من كبار السن أو العوام وغُرّر به وأُوهم أو أُفهم أن اختيار أو انتخاب هؤلاء الملتحين سيحكّم شرع الله وهو لا يعرف حقيقة عملهم التشريعي الكفري.. ولا حقيقة البرلمان وأنه مجلس للتشريع .. ولم يحضر للمشاركة على أساس أن الحكم والتشريع للشعب كما قد نص الدستور وإنما صُور له الأمر ، على أنه اختيار لمن سيحكم بالإسلام على ما يرتضيه الله .. فهؤلاء جُهال ضُلال قد أوقعوا أو وقعوا في عمل كفري .. ولكن لا نبادر إلى تكفير أعيانهم حتى نعرّفهم بحقيقة هذه المجالس التشريعية، وحقيقة الوظيفة التي يمارسها نوابهم، وحقيقة اللعبة التي قد سيقوا إليها .. فإن عرفوها وأصروا على المشاركة في هذا الدين الكفري ، والتواطؤ عليه، واختيار المشرعين ، لم نتحرّج من تكفيرهم .

فلا بد من معرفة هذا التفصيل وأن العذر الذي نعذر به هنا أو المانع الذي يمنع من تنزيل الكفر على الأعيان إنما هو انتفاء القصد .. بأن يريد المرء أو يقصد أمراً مباحاً ، أو حتى محرماً ، فيقع بكفر أو شرك دون أن يقصده أو يريده أو يختاره .. فهو (الخطأ) الذي مبعثه الجهل بحقيقة هذه المجالس، فهذا هو المانع عندنا، لا الجهل بأن الطاعة في التشريع كفر وشرك أكبر ، مع القصد إلى اختيار المشرع أو طاعته في التشريع أو إناطة التشريع به .. فقد تقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعذر في هذا الباب.

• وكذلك يجب التنبيه إلى أن طاعة المشرعين إنما تكون كفراً ، ولو في مسألة واحدة .. إن كانت تلك الطاعة في التشريع والكفر .. وأما من أطاع هؤلاء المشرعين في مباح أو معصية .. فإنه لا يكفر .

وبيان ذلك ، فيما إن أمره المشرع أو النائب أو الحاكم أو الطاغوت بشرب الخمر مثلاً أو بأكل الميته أو الربا أو اقتراف الزنا ، فإن كان مكرها على شيء من ذلك فلا حرج عليه بالاتفاق ، لكن إن لم يكن مكرهاً، بل فعل شيئا من ذلك خوفاً أو مداهنة فهو آثم عاص .. لكن إن سن الحاكم أو المشرع أو نحوه تشريعاً أو قانوناً يُبيح فيه بيع الخمر أو شربها أو أكل الميته أو الربا .. أو قال في تشريعه إن الميتة كالمذكاة أو (إنما البيع مثل الربا) فالمتابعة والطاعة والتواطؤ على مثل هذا، قد حكم الله تعالى فيها بقوله : (إن أطعتموهم إنكم لمشركون)

والطاعة هنا لا يلزم منها مباشرة الأكل أو الشرب أو تنفيذ ذلك أو اقترافه ..بل مجرد الاتفاق والاجتماع مع هؤلاء المشرعين على هذا التشريع والتواطؤ والإصطلاح عليه وقبوله؛ كفر وشرك بواح وإن لم يطبق ذلك أو يقارفه .. وهذا كما روى مسلم في صحيحه في سبب نزول قوله تعالى :" ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون { من حديث البراء بن عازب وفيه أن اليهود قالوا : (كنا إذا زنا فينا الشريف تركناه وإذا زنا فينا الضعيف أقمنا عليه الحدّ ، فقلنا : تعالوا نجعل شيئاً نقيمه على الشريف والوضيع فأجمعنا على التحميم والجلد) أي بدل الرجم.

قلت : فمن اجتمع معهم على هذا التشريع كفر وإن لم يقترف الزنا .. كما هو واضح .

بل مجرد أن يقر ويعترف المرء أو يدين بأن لهؤلاء النواب أو الحكام حق التشريع ، كما قد نص دستورهم فهذا كفر بواح وشرك صراح .

ومما تقدم تعرف أيضاً خطأ من يبادر بتكفير من يستعين بشفاعات هؤلاء النواب أو غيرهم من المشرعين أو الطواغيت أو أعوانهم، أو يلجأ إلى وساطاتهم في أمور الدنيا كإطلاق أسير أو فكاك عانٍ أو دفع مظلمة أو التوصل إلى حق، فنحن وإن كنا نكره اللجوء إلى هؤلاء المشركين .. ونحب وندعوا دوماً إلى قطع العلائق معهم ، وإظهار البراءة الكاملة منهم ومن مناصبهم الكفرية والتشريعية ، وإبداء بُغضهم ومباينتهم ، وننهى عن الإستعانة بهم إلا لضرورة، فالضرورات تبيح المحظورات ، إلا إننا لا نكفر من استعان بهم أو لجأ إليهم في شيء من أمور الدنيا .. دون أن يُقرهم على باطلهم أو يُنيبهم و يتواطأ معهم على شركهم، أو يقع في شيء من كفرهم .

هذا ما لزم التنبيه إليه في هذه المسائل التي عمت بها البلوى، فإن جادلك بعد هذا كله ، مجادل ، فقال لك : فما البديل ؟؟

فقل له : البديل لمن حقق التوحيد واجتنب الشرك المحبط للأعمال المخلّد في النار ، جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ,(فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) أوَ تريد أعظم من هذا البديل ؟؟

أما الدعوة والسبيل إلى إرجاع أمجاد الأمة وتحكيم شرع الله فلا يكون بالوسائل الشركية المحرمة ، فإن ما عند الله لا ينال بمعصية .. ونصر الله لا ينال بالإشراك به، وأعظم المصالح والضرورات في ديننا وفي دعوتنا وفي حكم الله إخراج الناس من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد .. فهل يجوز أو يعقل يعقل أن نسعى لتحقيق هذه المصلحة الضرورية بوسيلة شركية ، تقضي تلك المصلحة أصلا بهدمها ..؟؟ وهل يغيّر أو ينكر أو يدفع الشرك بالإشراك، أم هل يُتطهر من النجاسة بالنجاسة ؟؟

إن أعظم غايات هذا الدين تحقيق التوحيد والدعوة إلى إقامته وتمكينه في الأرض .. فبالتوحيد أرسلت الرسل كافة، ومن أجله أنزلت الكتب جميعها .

فالسبيل إلى تحقيقه هو سبيلهم .

وهم القدوة في هذه الطريق، والأسوة فيهم وحدهم ،قال تعالى : (ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون (88) أولئك الذين ءاتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين (89) أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ...) [الأنعام] .

وقال سبحانه : (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ...).

فالسبيل والطريق، إنما هو بالتزام هذه الملة العظيمة ، والدعوة إلى هذا التوحيد العظيم، وتربية الشباب عليه، وإعدادهم للجهاد من أجل تحقيقه، وإقامته في الأرض على منهاج النبوة .

لا الدعوة !! والمحاسبة !! الدستورية القانونية ..!! ولا الجهاد !! البرلماني .. والنضال الدستوري ..!! والمعارضة القانونية ...!!! كما يسميها أربابها ويفتخرون بها ..بل الدعوة الربانية .. التي قال تعالى فيها : (قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) [يوسف].

والجهاد الشرعي الذي وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه ذروة سنام الإسلام ..وقال صلى الله عليه وسلم :(لا يزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق، ويزيغ الله لهم قلوب أقوام ، ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة ، وحتى يأتي وعد الله ، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة............) إلى قوله :(وعقر دار المؤمنين بالشام) رواه النسائي .

ولموت في طاعة الله خير من حياة في معصيته.

أسأل الله تعالى أن يثبتني وإخواني على التوحيد، وأن يجعلنا من جنده وأنصاره، ويختم لنا بالشهادة في سبيله .. والحمد لله أولاً وآخراً .

***

د. عبد الله القرشي الشامي

1437هـ